Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جارة النبى . . .

« قُلنا يانارُ كونى برداً وسَلاماً على إبراهيم » .

سعينا إلى الحرم النبوى فى جلوة الفجر ، يحدونا دعاء السماء الذى ظلت مآذن المسجد الطاهر ترسله منذ نحو ألف وأربعمائة عام ، فتسرى به الملائكة ملء الدُّنى ، وتُرَجِّعه الأطياف السارية على أجنحة من النور ، وتتجاوب به القمم والسفوح والأودية فى رنين علوى النغم ساحر الأصداء ، فإذا الكون كله تسبيحة مؤمنة وترنيمة هائمة !

وإذ بلغنا باب المسجد ، خلعنا نعالنا وسرنا خُشَّعاً نحو الروضة الشريفة ، وقد صفَا الحس وشفَّ الشعور ورقَّ القلب ، واندمجت شخوصنا المتعبدة فى ركب الأرواح المطيفة بحرم النبى ، الحائمة حوله ، نكاد نميز فيها أطياف الصحابة الأبرار من المهاجرين والأنصار !

حتى إذا قُضيت الصلاة ، انتشر القوم خارج المسجد ساعين على رزقهم يبتغون من فضل الله ، وبقيت قلةٌ من الذين انقطعوا عن الدنيا ، وآثروا على كل متاع فيها ، جوارَ الرسول الحبيب . وآخرون أرهقتهم الهموم والأحزان فلاذوا بنبيهم الكريم ، يسألون الله تعالى بحق هذا النفس الطاهر فى المكان الطاهر ، أن يرفع عنهم الكرب ويدفع السوء والبلاء . . .

وكنت قد اخترت مكاناً منفرداً فى الحرم أتأمل ، وأحاول أنْ أستحضر الذى وعيتُ من مشاهد التاريخ الإسلامى منذ عام الهجرة ، إلى أن لبى المصطفى ، عليه الصلاة والسلام ، نداء ربه ، وثوى جسده الطاهر فى هذه البقعة المباركة الباقية على الزمان ، مزاراً مقدساً للمسلمين من شتى أقطار الأرض..

ومرّ بى فى مجلسى عددٌ من النسوة يطفن بالمقصورة الكريمة ، فلم ألق إليهن بالا . حتى إذا فرغن من طوافهن جلسن غيرَ بعيد منى شاكيات داعيات ، فحاولت أن أصرف سمعى عن أصواتهن ودعواتهن كيما أفرغ لتأملاتى . لكنى ما لبثت أن سمعت صوتَ نشيج مختنق ، رجَّعته جوانب الحرم فكان له صدىً لافِت ، وجِمنا له حيناً حتى صرفنا عنه قارئ من قراء « المدينة » يتلو بعض قرآن الفجر .